مجلة العلوم
الاجتماعية والإنسانية

جامعة محمد بوضياف
بالمسيلة

النُّخبَةُ الجزائرِيةُ الفَرانْكُفُونِية بَين التَّطَرُّف وَالاعْتِدال "شَرِيف بَن حْبِيلس أُنمُوذجًا 1891-1959".

د. قاصري محمد السعيد
جامعة محمد بوضياف/ المسيلة - الجزائر-

الملخص:

لعله من بين الوسائل التي راهن عليها الاستعمار الفرنسي في الجزائر المدرسة، لتعليم وتخريج عدد معتبر من أبناء الجزائريين الذين تعاملت عائلاتهم في البداية مع الإدارة الاستعمارية في شكل قياد، باشاغاوات، شيوخ دوائر وقبائل، مدرسة ساهمت إلى حد ما في تكوين وتشكيل فئة جزائرية مثقفة ومتشبِّعة بالثقافة الفرنسية، وهي الفئة التي أطلقت على نفسها النخبة، نخبة تخندق بعضها وهم الأكثرية في الدفاع عن مصالح فرنسا والدعوة للإدماج والمحافظة على الجزائر الفرنسية، بينما تخندق بعضها الآخر وهم أقلية في الدفاع عن الجزائر الجزائرية رغم تكوينهم الفرنسي.

وبين هذا وذاك يكون قد وقع اختيارنا على عيّنة من النخبة الفرانكوفونية التي آمنت بالرسالة الحضارية الفرنسية، وحاولت القفز فوق الجماهير، ويتعلق الأمر هنا بشريف بن حبيلس، الذي مثّل هذا الجناح النخبوي بشكل كبير ودافع عنه بقوة، وهو الوجه المُتطرف لبن حبيلس، لكن مع مرور الوقت تراجع نوعا ما عن أطروحاته الفكرية وبدأ يعمل لصالح الجزائر الجزائرية تماشيا مع التغير الحاصل في فكر زعيم هذه الفئة فرحات عباس، إلا أن هذا السلوك والتغير لم يشفع له لدى كثير من بني جنسه اليوم، فحكموا عليه بأحكام قاسية، مُستندين إلى عملية اغتياله وتصفيته جسديا من طرف جبهة التحرير، كونه عميلا للاستعمار الفرنسي، ولكن ليس كل من أغتيل في تلك الفترة الحالكة هو عميلا ومتمرد عن المبادئ الوطنية والثورية التي رسمتها الثورة الجزائرية، هذا

جزء من الإشكال، والأفكار التي سنحاول معالجتها في هذا المقال، على أمل أن نكون قد قدمنا صورة تاريخية معينة حول هذه الشخصية، بما لها وما عليها.

مُقدِّمة:

لَقد نجحت المَدرسة الاسْتعمارية الفِرنسية في الجزائر إلى حَدٍّ ما في إعْداد مَجمُوعة مُعتبرة من المُثَقفِين الجزائريين، الذين تَأثَّرواْ بِمبادِئها نَظيرَ ما تَلَقوْهُ من توجيه وتكوين على يد المُعلِّمين الفرنسيين، الذين سخّرتهم فرنسا لاستقطاب هذه الفئة وسلخها عن مقوماتها الشخصية والحضارية، ولقد عُرفت هذه الفئة، أو هكذا أُطلقت على نفسها النُخبة[1]، نُخبة تخندق بَعضُها في صفِّ الدّفاع عن فكرة الجزائر الجزائرية بمختلف الوسائل والأساليب نظرا لدرجة الوعي التي كانت تتمتع بها؛ ولكونها كانت مُحصّنة في شخصيتها، وظلّت محافظة على مبادئها ومقوماتها مثل عبد القادر المجاوي، عبد الحليم بن سماية، محمد بن شنب، الأمير خالد، أحمد فرانسيس...إلخ، بينما تخندق بعضها الآخر في صف الفرنسيين وظل يدافع عن فكرة الجزائر الفرنسية ردحا من الزمن؛ ومن بين هؤلاء رابح زناتي، محمد الشريف سيسبان، بلقاسم بعزيرن، محمد الصالح بن جلول، الدكتور بن تامي، شريف بن حبيلس، فرحات عباس...الخ، ولقد عُرف هذا النّوع من النُّخبة بالنُّخبة الفرانكوفونية.

نظرا لتشعب موضوع النخبة الفرنكوفونية وتمددّه عبر الزمان والمكان، يكون قد وقع اختيارنا على شريف بن حبيلس كأنموذج لها، بسبب غياب الدراسات الأكاديمية حوله، ولمحاولة الوقوف على بعض مواقفه المُتطرفة تارة والمُعتدلة تارة أخرى من القضايا التي عايشها، حيث كان يصارع ذاته لتبني هذا الموقف أو ذاك، وفي نفس الوقت لِمُحاولة الوقوف على المُستوى الفكري الجزائري الذي عرفته الساحة السياسية الجزائرية في النِّصف الأول من القرن 20، وهو مُستوى يجب علينا اليوم قَبوله ومناقشته بحكمة وموضوعية، لأن هؤلاء في الأخير هم جزائريين، ودفاعهم عن أطروحاتهم الفكرية تحكمت فيه عوامل متعددة وظروف معينة.

أما الإشكال المطروح في هذه الدِّراسة فهو يكمن في مُحاولة الإجابة عن بعض الأسئلة التي نراها لا تزال عالقة، والتي من بينها: من هو شريف بن حبيلس؟ إذا كان بن حبيلس خريج المدرسة الفرنسية، فإلى أي مدى نجحت هذه الأخيرة في التأثير على فكره؟ ما هي الخُطوات التي قطعها أو الإجراءات التي قام بها في سبيل الدِّفاع عن فكرة الجزائر

الفرنسية؟ إلى أي مدى نجح في تحقيق أهدافه الإدْماجية في المجتمع الجزائري؟ كيف انتقل من الدّفاع عن فكرة الجزائر الفرنسية إلى فكرة الجزائر الجزائرية؟، ما هي العوامل أو بالأحرى الدّوافع الكامنة وراء ذلك؟ وما هي ملامح هذا التوجه الجديد في فكره؟ ما هو مَوقِفُه من الثَّورة الجزائرية؟ ما هي ملابسات اغتياله في مدينة فيشي بفرنسا سنة 1959؟ هل اغتياله جاء لِتبينه مرة أخرى موقِفِ مُتطرِّف من تطور الثَّورة الجزائرية؟ هل فعلا بن حبيلس كان ضحية للأطراف التي دفعته للدفاع عن فكرة القوة الثالثة التي طرحها الجنرال "ديغول" للقضاء على الثورة؟ أسئلة في غاية الأهمية سنحاول الإجابة عنها ضِمْن العناصر التَّالية:

1-التّعريف بـ: شريف بن حبيلس:

-مولده ونشأته:

وُلد شريف بن حبيلس في سنة 1891 بمنطقة شبرول بقسنطينة[2]، يَنحدِر مِن عائلة جزائرية كَبيرة (خَيمة كبيرة حسب التَّعبير السّائد آنذاك)[3]، كان لها نصيب كبير فِي خِدمة مَنظُومة الحُكم العُثماني بِالجزائر، وفي خِدمة الإدارة الاسْتِعمارية أثناء فترة الاحتلال الفِرنسي[4]، من خلال تولّيها لِلْعديد مِن الوظَائِف الإدارية الثَّانوية، ومن خِلال بَعض مَواقِفِها المُتذبْذِبة والغَامِضة تُجاه زُعماء المُقاومة الشَّعبية في القرن 19، مِمَّا جَعلها تَنالُ رُتبة القِيادة[5] والباشاغاوية، وتَحْظَى بالعَدِيد مِن الامْتِيازات علَى غِرار الأُسر والعَائلات الجَزائِرية الأَرْسُتقراطِية كَعائلة عَلي بَاي بُوعَكَّاز، وبُولَخْراس بن قَانة[6].

نشأ بن حبيلس إذًا في وَسط اجْتمَاعي مُعتبر، وَسط عَايشَ مِن خلاله المُعَمّرِين أوربيين وفِرنسيين، بمختلف شرائحهم وجنسياتهم، عَكس كَثِيرٍ مِن أَقرانِه الذين عَاشُواْ الفَاقة والحِرمان، وكانُوا بَعيدِين عَن هذا الوَسط الأُوربي، الذي لم تربطهم به إلاّ المدرسة الفرنسية فقط، وعليه فهذا الوسط الاجتماعي كان له دور كبير في توجيه فكر بن حبيلس نحو التّعايش والتَّآلُف مع هذا الوَسط والاندماج فيه، بِلُغة ليست لُغتِه وبِأفكَار وعَاداتٍ وتَقاليدٍ ليست من عَاداتهِ، ولِذلك لاَ نَستغرب مِن مَوقِف بن حبيلس المُمَجِّد للاستعمار الفِرنسي في الجزائر عَشِية انْدلاع الحَرب العَالمية الأُولى سنة 1914.

-تعلمه:

بِحُكم انْتمَائهِ إلى عائلة جَزائرية أُرسُتقراطِية[7]، قَد زَاول بن حبيلس تَعلِيمه الابتدائي والمُتوسط بِالمدارِس الفِرنسية التي خُصِّصت لأَبناء هَذه العَائِلات، وتَعليمه

الثَّانوي بالمَدرسة الفِرنسية الإسلامية بِقسنطينة[8]، فكانَ حَظّه كبيراً في تَعلُّم اللُّغة الفِرنسية على يَد مُدرّسين فِرنْسيين بالدَّرجة الأُولى، مُدرّسين غَرسُوا فيه حُب فِرنسا والتّأثر بِها، مِن خِلال الدُّروس التي كانت تُقدم له، دُروس سَاهت في تَشْويه الذِّهْنية الجَزائرية لِهذهِ الفئة وغَزوِها بِأفكار غَربيةٍ لِلقضَاء عَلى الانْتِماء الحَضاري والهُوِيّي لها.

وَجد بن حبيلس نفسه يَعيش في وَسط اجتماعي حَضري بين الأُوربيين والفِرنسيين، مِمَّا ساهم في صَقْل شَخصيتِهِ بِطابع أُوربي فِرنسي خَالص، فَتكوَّنت لَديهِ ثَقافة فِرنسية غَربية، وتَوَجُهات تَصُب كُلها فِي العمل على دَمج المُجتمع الجَزائري المُتَخلِّف فِي نَظرهِ بالمُجتمع الأُوربي المُتقدِّم والمُتحضِّر، ومُقابل ذلك فإن حظّه من التَّعليم العربي الإسلامي كانَ ضعيف جدًا، وهذا عكْس ما رَوّج لهُ البَعض فِي كَونِهِ كان يَتردّدُ على مَدارس جَمعية العُلماء المُسلمين الجَزائريين[9]. فبن حبيلس بَعد تَأسيس جَمعية العُلماء المُسلمين الجَزائريين في سنة 1931 كان يَبلغُ من العُمر حِينها 40 سنة، ولم يَعُد فِي نَظرِنا فِي حاجةٍ ماسة إلى دُروس جَمعية العُلماء.

أمَّا دِراسته الجَامِعية فَقد أَتمّهَا فِي جامِعة الجزائر، بِالمدرسة العُليا لِلآدَاب حيثُ الْتحقَ بِكُلية الحُقوق وتَدرّج في دِراستهِ الجَامِعية إلى أن تَحصَّل فِيها على شَهادة الدُّكتوراه في الحُقوق[10].

2-مواقفه:

لقد تباينت مواقف شريف بن حبيلس من مُختلف القضايا التي عرفتها الحركة الوطنية الجزائرية، مواقف جمعت بين التّطرف والاعتدال، والتناقض في بعض الأحيان، فبن حبيلس نجده تارة ذلك الشاب المُتماهي في الدِّفاع عن المصالح الفرنسية، وتمجيد الاستعمار الفرنسي، وتارة أخرى نَجده عُضو نشيط وفعّال في تأسيس النّوادي والجمعيات الثّقافية، التي رآها وسيلة للنهوض بالمُجتمع الجزائري، وتخليصه من قبضة الاستعمار الفرنسي بِأخف ما يُمكن فعله وتحقيقه على الأقل خلال تلك المرحلة. ويُمكننا التَّطرق إلى مواقف شريف بن حبيلس من خلال العناصر التالية:

1-الاستعمار الفرنسي: [11]

يتجلى لنا موقفه من الاستعمار الفرنسي من خلال مُؤلّفه المُوسوم بـ " L'Algérie Française vue par un indigène"، الذي أَلّفه في سنة 1914، وقدّم له "جُورج مارسيه" بِمُقدمة شَكرهُ من خلالها على حُكمِه العادل والمُنصِف –فِي نَظرِه-على الاسْتعمَار الفِرنسي،

والكتاب هو عبارة عن مجموعة من المقالات والكتابات[12] التي كتبها، ثُم جمعها في هذا الكتاب، كِتاب طبع في سنة 1914 على حساب (Imprimerie Orientale Fontana frères,) يقع في حوالي 209 ص[13]، وهو مُترجم إلى اللُّغة العربية تحت عنوان: الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، من طرف مجموعة من الباحثين[14]، وطُبع في طَبعتِه الأُولى بدار بهاء الدِّين للنَّشر والتَّوزيع، بقسنطينة، في سنة 2009، ومن خلال قِراءتنا لهُ يُمكِنُنا عَرض المَواضيع الرَّئيسية التي تَناولها المؤلف في النِّقاط التّالية:

أ-الأمن:

يَرى بن حبيلس أنَّ الجزائر كانت عِبارة عن عِش حَقيقي لِلأشرار وقُطاع الطُّرق والقَراصِنة، وتَسُودها الفَوضى، الغُموض، الاضْطِراب...ولم تَعرِف استتاب الأمن إلاّ مُنذ أن صَارت أرضا فرنسية[15]، ولم يكتف بهذا الطّرح بل ذَهب إلى أن فرض الأمن في الجزائر يُعتبر إحدى أهم الإنجازات الفِرنسية على الإطلاق، وعليه فالجزائريون مَدينون لِفرنسا ويَفرض عليهم الواجب حُبّها، والذَّوبان في مجتمعها: «لِذلك فَخِدمة الأمن والعَمل على استِتاب الأَوضَاع واستِقرارِها هُو عَمل على إدْماج إخوانِنا وتَكيّفهم واستِيعَابِهم»[16].

يَجدُر بنا هنا طرح عِدة أَسئِلة حول المَسألة الأَمنية التي يَفتخِر بِهَا بن حبيلس، فَهل نَسي أو تَناسى أنَّ فرض هذا الأمن المَزعُوم تمَّ في إطار سِياسة التَّهدئة (la pacification) التي طبّقها الجّنرال "بيجو" بواسطة سياسة الأرض المحروقة، السّيف والمحراث، والإبادة الجماعية؟ ثم أعقبتها الجُمهورية الفرنسية الثّالثة بِسيل جَارِف من القَوانين الزّجرية والرّدعية لِدرجة لا يُمكن تَصوّرها وتَحمُّل وقعها الشديد على الإطلاق، ولعل أَبرز مِثال على ذَلك قَانون الأهَالي 1871 والتعديلات الجائرة التي عرفها خلال، 1874، 1890، 1897. قانون المحاكم الرادعة، 1902، قانون جُونار1906، قانون التجنيد الإجباري 1912...الخ[17]، ألمْ يَذكُر لنَا المُؤرِّخ أبُو القَاسم سعد الله الوَضع الذي كان سائدًا قُبيل الحَرب العالمية الأولى في قوله: «هذا زمان الصّمت فإذا تكلّمت الباطل فستعيش، ولكنك إذا تكلمت الحق فستموت»[18].؟ ألم تُكمِّم فرنسا أفواه الجزائريين، وتَمْنعهُم من التَّعبير عن أنفسهم بأيّ شَكْلٍ من الأَشكال؟ فظهرت الكِتابة علَى الجُدران كَسبيل للتَّعبير عن مَواقِفِهم تُجاه السِّياسة الاستعمارية، فَهلْ هذا هُو الأمن الذي يُحبِّذُه- بن حبيلس ويُشيد به؟.

أما إذا عُدنا إلى تتبُّع الوَضع العام في الجزائر مُنذُ النِّصف الثَّاني من القرن 19م وإلى غاية اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914، وهُو تاريخ صُدوُر كِتاب بن حبيلس فإنَّ الثّورات والمُقاومات الشّعبية لم تَتوقّف بِالصُّورة التي قَدّمهَا بن حبيلس، ولم يَشعُر الفِرنسيين والأوُرُبيين بِالأمْن والاستقرار طِيلة هَذهِ المُدَّة[19].

ب-**التَّعمير:** يَرى بن حبيلس أنَّ التّعمير الفِرنسي بالجزائر هُو انجاز آخر مِن انجَازات المُصالحة التي كانت تقوم بها فرنسا، والتي لا يُمكننا -حسب رأيه- الاستهانة بِها، وبِهذَا الصَّدد يَتطرَّق إلى ثَلاثة عَناصر أساسية:

-العَامِل الجزائري والمُعمِّر الفِرنسي:

يَتساءل بن حبيلس: «من دَفع هَؤُلاءِ إلى العَمل وغَيَّر ذِهْنِيَتِهم في العَمل؟ انَهُ هذا المُعمِّر الآتي مِن ورَاء البِحار لا يَحمِل معهُ إلاّ بِنْيته القوية في أَغلب الأَحيان، هَذا المُغامِر الذي جاء وتَمرْكز وَسط أُناس لا يَعرف لُغتهم ولاَ ذِهْنِيَتِهم ولا عَاداتِهم، والذي وَاجه أَلف عُسر وعُسر، وحَرم نَفسهُ مِن كَثيرٍ من الأَشياء كِي يُشكِّل لَهُ خلية حَيوية وبيتًا عَلى هذهِ الأرض التي انْتهى بِه الأَمر إلى احْتِضَانِها كَأنَّها وَطن ثان»[20]، ثم يُواصل: «مَن الذي عَلّمنا طُرق الزِّراعة الجَديدة؟ مَن أَحدثَ الارتِفاع الذي نَراهُ في أُجُور عُمال الحُقول إنْ لم يَكُن المُعمِّر؟ مَن يَجرُؤ علىَ نُكران فَضل هَذه الشَّراكة؟».[21] وهذا الكلام الذي يُدغدغ العواطف كان يريد من خلاله الوصول إلى النتيجة التالية: لِهذا نَرى فِرنسَا جَديرة بِالتُّراب الجَزائِري[22].

لقد وضع بن حبيلس المُعَمِّر في حالة المِسكين الذي جاءنا مِن وراء البحر، ووَاجه مَشاكل عَويصة، بل حرَم نفسه مِن أَشياء كَثيرة لكي يبنيِ لنا بيتًا ويَزرعُ لنا حقلاً ويَرسُم لنا مُستقبلاً زاهرًا، ويُعلمنا طُرق الزِّراعة الحديثة

ثم يَنتقل بعد ذلك إلى الحديث عن انجازات المُعمِّرين: الرِّيف الذي كانَ بَوارا صَار يَزدان بِالمحاصيل الخِصبة، والجِبال تَركت جَدبها لِصالح خُضرة جَديدة وجميلة...وهذه المِساحات لم تكن فيهَا سوى النَّباتات البَرية القديمة، والتي لا تَجد فِيها سِوى مَزيج كَئيب العَليق والعَناب البَري تَحولت اليوم إلى قُرى جَميلة يُشرِّفها اسم أَحد عُلماء فرنسا ويُزيّنها شَجر البُرتقال واليُوسفي بِثمارهِ المُذهّبة، والصُّخور التي لم تَكن تَعرف شيئًا سِوى هَجمات الأمواج البَحرية الغاضبة أَصبحت اليَوم مَوانِئ واسعة ومَراسي غنِية تَحتضِن الجوار الطّيب للخيرات والكُنوز التي لا تُفرّق أهي مِلك لساكن أصْلي أمْ لِمُعمِّر؟[23].

ليسَ بِالزمن البَعيد عَن صُدور كِتاب بن حبيلس يَتحدث لنا "جول فيري" في زيارته للجزائر سنة 1892 عن الوضع المأساوي للجزائريين في تقريره:« رأينا هاتيك القبائل البئيسة التي تسلّط عليها الاستعمار فأجلاها، والحجز فأرهقها، ونظام الغابات فأطردها، وقوانينه فأفقرها، سمعنا شكواهم ورأينا رأي العين بُؤسهم ولمسناه لمسا، رأينا وسط الغابات بُقعا محروثة وحُقولا سُلبت من يد الجزائري سلما وضُمت إلى أملاك الغابات، ورأينا في تلال القبائل الصغرى نظام الضَّرائب الفرنسي يُنازع العربي المرتدي الأسمال، الأعشاب التي تكسو الأرض في فصل الربيع حول باقات الدّفل، لم يتأثر قلبنا فحسب من رؤية هذه المناظر، بل ثارت عقولنا فأدركنا بأن الجزائر تجري (كذا) أمور ليست أهلا بفرنسا، تتنافى مع العدل ومع سياسة كمتبصرة (كذا) ».[24]

-الفلاح الجزائري والمُعمِّر الفرنسي:

يرى بن حبيلس: «إنه بفضل جوار المعمر الفرنسي قد أصبح الفلاح يلبس لباسا أفضل مما هو تعود عليه من "قدوار" و"قاعة" وما شابه ذلك، والاستهلاك العام للموارد الغذائية التي ينتجها المعمر لا يفتأ يتزايد منبئا بتغذية أكثر صحية، مُنذ ثلاثين سنة فقط لم نجد القهوة والسكر والصابون إلا لدى ثلة من العائلات ميسورة الحال، أما اليوم فإننا لم نجدها تحت خيمة الرحالة وفي كوخ الفلاح»[25]. وهذا كله من أجل الوصول إلى قناعة مفادها أن الاستعمار قضاء وقدر يجب الاستسلام له، قناعة صاغها في الفقرة التالية:

«إن شبكة القرى الأوربية التي لا تفتأ تزداد عددا، تزرع في أذهان الأهالي الاقتناع القوي بأن التعمير والتواجد الأوربي في بلادهم قدر لا مفر منه، وشيء نهائي لا مرجع منه، إنه مشهد يدفعهم إلى الإيمان بقبول تواجدنا على أرضهم كقدر محتوم، أنهم بذلك يلقنون بأنه لا مستقبل أمامهم إلّا بين أحضان المجتمع الذي يرونه يتشكل حواليهم، ويجعلهم يتحولون إلى أتباع طيّعين متى تمكنا من إرضاء رغباتهم وتطلعاتهم»[26].

ما يمكن أن تستخلصه ونسأل بن حبيلس نفسه عن هذا الواقع غير الصحيح الذي أراد تلطيفه وتجميله، رغم السواد والعتمة التي تلفه، فعن أي شعور بالرضى، الإعجاب، الاحترام، يتحدث؟ وعن أي إضافة قدمها المُعمّر الأوربي للجزائري ذو الأسمال البالية والأقدام الحافية، والبطون الخاوية؟ ألم يذكر لنا "بول أودال" على سبيل المثال في رحلته الموسومة بصورة الجزائر أرضا وشعبا لدى رحالة فرنسي 1899 (من الجزائر إلى بوسعادة عبر برج بوعريريج والمسيلة): مظاهر الفقر والتسول والحرمان التي وقف عليها بنفسه: «كل

فقراء المدينة [يقصد برج بوعريريج] سبقوا انطلاقنا، كأنما تواعدوا، جميعهم كثيرا أو قليلا عجزة، بسيقان ترتطم، وأذرع التصق جلدها بالعظم، وأسمال تنبعث منها رائحة حريق كضمادات الجروح»[27]، ألم يذكر لنا حال العمال الجزائريين الذين كانوا يكسرون الحجارة المخصصة للسكة الحديدية في أجسادهم النحيلة وأنظارهم الشاردة، وثيابهم القذرة؟ ألم يذكر لنا حالة البؤس والفقر التي وجد عليها السكان في المسيلة، وأوضاعهم الاجتماعية البائسة، فلم يذكر لنا أنه تذوّق القهوة والشاي والكسكسي والمشوي عند هؤلاء المساكين، إلاّ عند القاضي محمد بن بوضياف بن هني، المحسوب على الإدارة الاستعمارية[28].

ج-المدرسة.

يرى بن حبيلس: « أن الاكتفاء بالأمن والتعمير، فقط من أجل تحرير هذا الشعب وتنميته والرقي بمستواه يُعد نُقصا في كرم أمة متحضرة كفرنسا، كان لا بد من أجل التقريب بين الناس ولم شملهم والتوحيد بين تطلعاتهم وترقية معاملاتهم، كان لا بد من غزو العقول غزوا أخلاقيا معنويا، هذه المهمة شجاعة وعسيرة، فتربية شعب كشعبنا الذي غاص في مجاهيل الجهالة طيلة قرون ليس أمرا يسيرا، ومهما يكن الأمر فالإدارة الفرنسية قد انطلقت في هذه المهمة التي فرضت نفسها-في الواقع-لسببين: حاجة الدولة إلى أعداد كبيرة من الموظفين الأهالي، ومن الجهة الأخرى فمهمة فرنسا الأولية مهمة حضارية، ولا يوجد تمدن دون تربية وتكوين أي دون تعليم، تعليم الغالب للمغلوب»[29]،ثم يُلح بن حبيلس على ضرورة تعليم الأهالي لا محاربة الجهل والأمية بل لتحقيق الهدف الحضاري للحملة الأوربية[30]، ويخلص في الأخير إلى أن هذه الأمة -الفرنسية-التي علمت الجزائري وحضّرته هي أمة جديرة بأن يرتمي في أحضانها بقوة[31].

لا ندري بأي منطق يتحدث بن حبيلس؟ فإذا كان يتحدث بلغة المعطيات والوقائع التاريخية، فالتاريخ يشهد وهذا باعتراف الفرنسيين أنفسهم الذين يدافع عنهم، بأن نسبة الأمية في الجزائر عشية الحملة الفرنسية على الجزائر تكاد تكون منعدمة تماما، وأن الجزائر كانت غنية بقراها وحواضرها بمختلف دور الثقافة[32]، حواضر ساهم لاستعمار نفسه في تهديمها ومصادرتها ونفي علمائها وفقهائها، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإننا سنحاول تفنيد طروحات بن حبيلس من خلال شهادات الفرنسيين أنفسهم حول المغزى من التعليم الفرنسي في الجزائر، فالدوق "دومال" نجده يصرح بهذا

الخصوص: «بناء مدرسة أحسن وأفضل من فيلق عسكري لإقرار الأمن»[33]، **أما** " Paul Bernard" مدير المدرسة العليا للمعلمين في بوزريعة سنة 1908 فيقول بشأن المدرسة الفرنسية: «المهم... أن يأخذ الأهالي عن وطننا فكرة راقية ونقية فلنقدم لأولادنا إذن...معلومات حول عظمة فرنسا وقوتها العسكرية وتراثها، إن أوضاعنا سوف تكون أشد تثبيتا إذا اقتنع الأهالي بأن الفرنسيين أقوياء وكرماء وأنهم أفضل من يمكن أن يسودهم. ثم لخص فكرته بقوله: أثبتت مدرسة الأهالي فعاليتها الرائعة لأنها على وجه الخصوص أداة من أدوات السلطة ووسيلة من وسائل التأثير[34].

وحسب عبد القادر حلوش: «فإنه قصد الوصول إلى أعماق المجتمع الجزائري والسيطرة عليه؛ قامت الحكومة الفرنسية...باختراع أسلوب جديد للاستحواذ على الضمير الجزائري عن طريق غسل أدمغة أعيانه وشخصياته الكبيرة، فأسست لهم معاهد باريس لتقوم بإعدادهم وإعداد أبنائهم للمهمة الجديدة التي تنتظرهم...وتتمثل هذه المهمة السياسية في الوصول إلى أعماق المجتمع الجزائري والاستيلاء عليه بأيدي جزائرية»[35].

وحسب حلوش دائما: فالسياسة التعليمية الفرنسية أفلحت في خلق وتكوين ما أُصطلح على تسميته بجماعة النخبة، هذه النخبة التي عزلتها الإدارة الفرنسية نهائيا عن محيطها العربي وربطتها بالفكر والثقافة الفرنسيين[36].

لم يكن بن حبيلس وحده الذي دافع عن المدرسة الفرنسية فهذا "Albert Memmi" يذكر في كتابه الموسوم بـ: ملامح الرجل المستعمَر[37]، نقلا عن غي بريفيليي«إن أول ردود فعل الرجل المتطور الذي كونته المدرسة الأجنبية هم مشاعر الحب التي يكنها للمستعمِر وإن أول ما يطمح إليه الرجل المستمعَر هو أن يرقي إلى مستوى السمعة التي يحظى بها سيده وأن يكون شبيها له إلى حد الذوبان في شخصه»[38].

هذه إذا بعض مواقف بن حبيلس من الاستعمار الفرنسي التي جاءت في مؤلفه هذا، ويبقى السؤال المطروح لمن كان يكتب بن حبيلس؟ هل للجزائريين أم لجماعته؟ أم للفرنسيين أنفسهم؟ وهل نستطيع عَذْره فيما كتبه ودافع عنه من أفكار؟ في نظرنا لم يكن الشعب الجزائري ولا حتى المثقفين منهم في حاجة ماسة إلى كتاب بن حبيلس، وبالتالي فالكتاب كان موجه بالدرجة الأولى لجماعته، ولمن يفهم لغة خطابه، فهي محاولة منه للتقرب من الإدارة الفرنسية وكرد للجميل الذي أسبغته عليه، وهذا باعترافه شخصيا في مقدمة كتابه.

-التجنيد الاجباري:

النخبة المفرنسة، ذو الثقافة الفرنسية كانوا في أغلبهم مع قبول التجنيد إذا كان سيؤدي إلى الحصول على المساواة السياسية، وبذلك نادى أبناء بوضربة وابن حبيلس وابن التهامي[39].

ومما يذكره أبو القاسم سعد الله بشأن موقف بن حبيلس وجماعته من التجنيد الإجباري: «ابن حبيلس هو الذي كتب سنة 1914 كتابا عن تيارات التغيير والإصلاح، وجعل عنوانه الجزائر كما يراها أحد الأهالي[40]. وهو مجموعة آراء وملاحظات جمعها ونشرها، وقد جاء الكتاب على لسان الإندماجيين الذين منهم حام وابن التهامي وبوضربة ومرسلي، وفي الكتاب أصداء هذه الفئة التي تبنت التجنيد الإجباري إذا كان يحقق المطالب السياسية والمساواة بين الجزائريين والفرنسيين؛ والمؤلف [يعني بن حبيلس] واحد منهم»[41].

2-**الجامعة الإسلامية:**

عرفت فكرة الجامعة الإسلامية انتشارا واسعا في المشرق والمغرب العربيين، في ظل الولاء الذي كانت تحظى به في الجزائر، ونظرا للتجاوب الذي وجدته أفكار الجامعة الإسلامية بين الجزائريين، وبحكم موقف الاستعمار المعادي للفكرة يكون قد سخّر أتباعه في الجزائر للقيام بالدعاية ضد الألمان، ومما يذكره احميده عميراوي حول هذه النقطة: «ويلاحظ على بعض أعضاء تيار النُّخبة اللائكيين عدم التجاوب مع دعوة الجامعة الإسلامية، بل انتقد بعضهم أفكارها، ومنهم الشريف بن حبيلس الذي قال عام 1914 إن أفكار الجامعة ضرب من الوهم»[42].

3-إصلاحات قانون 04 فيفري 1919:

اختلفت النُّخبة فيما بينها حول الإصلاحات السياسية التي طرحتها فرنسا في هذا القانون، بين مؤيد لها بالقبول بالتخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية ويمثلهم الشريف بن حبيلس، ورافضا لها وقائد هذه المجموعة الأمير خالد[43]، وهذا يعد في نظرنا أول انقسام للنخبة فيما بينها، حيث انشطرت إلى قسمين: قسم فرانكوفوني، قسم فرانكو-عربي اسلامي.

4-التّجنيس:

يرى بن حبيلس أن جماعة النخبة هي الأولى من غيرها بالتجنس، كونها تمثل زبدة من الشباب المتكون في الجامعات الفرنسية، وهم فوق العامة ومكانهم بين

المتحضرين»[44]، ويصف غير النخبة أي المحافظين بالمتخلفين وأصحاب العمائم القديمة، وأما الفلاحين والأميين والفقراء، فهو يحتقرهم ويزدريهم ويترفع عنهم معتبرا نفسه فوقهم، ويطلب بإلحاح من النخبة أن تكون سبّاقة للتّجنس[45].

نظرا لهذا الطرح الذي يتسم بالتكبر والاستعلاء عن بني جنسه، تلقى بن حبيلس ردود فعل قوية وعنيفة، ومن بين ما وقفننا عليه على سبيل المثال لا الحصر، موقف محمد شريف ساحلي الذي قال عن بن حبيلس وغيره من المتجنسين: «رجال بدون إيمان قدموا خدمتهم إلى المحتل، عملاء مأمورون متاجرون يهدفون من وراء ذلك خدمة مصالحهم الطبقية، هذه الطبقة البورجوازية الجديدة تطالب بالمساواة في الحقوق والاندماج، يريدون أن يكونوا فرنسيين للوصول إلى مكان بجانب معلميهم»[46].

***جوانب من نشاطه السياسي:** ساهم شريف بن حبيلس في عدة نشاطات سياسية وثقافية، انطلاقا من موقعه ومن تكوينه الفرنسي، نشاطات يمكن حصرها في العناصر في ما يلي:

1-تأسيس حركة الشُّبان الجزائريين:

يُعد من بين المؤسسين الناشطين فيها، وهي التي كانت تتكون من حاملي الشهادات الذين لم يكن يبلغ عددهم سنة 1912 سوى 25 شخصا، من بينهم شريف بن حبيلس، ومن بين النشاطات التي قامت بها بيان الشبان الجزائريين لسنة 1912[47]، وما يذكره بوعلام بن حمودة حول نشاط بن حبيلس الذي يقر بترأسه لحركة الشبان الجزائريين: «إن مطالب حركة الشبان الجزائريين تحت رئاسة الشريف بن حبيلس تشبه تلك التي يرفعها الأمير خالد»[48]، مما يُفيد بالتقارب الحاصل بين موقف الرجلين.

2-تأسيس لجنة الدِّفاع عن مصالح المُسلمين الجزائريين:

تأسست في سنة 1908 بالجزائر العاصمة، وكان من أبرز عناصرها حسب أحمد مريوش رائد النخبة اللائكية الشريف بن حبيلس[49]، وعمر بوضربة، وابن التهامي، لجنة جاءت لتوحيد جهود هؤلاء المثقفين، ووضع آلية للعمل السياسي، انطلاقا من العاصمة الفرنسية نفسها، لتمثيل الجزائريين وتقديم مطالبهم، وإسماع صوتهم بطريقة مباشرة إلى السلطة الفرنسية.

3-تأسيس نَادي صالح بَايْ:

يُعد من بين أعضائه البارزين، ومن بين ما ذكره بن حبيلس بشأن هذا النادي: تنظيم دروس في التعليم العام والمهني، وعقد محاضرات علمية وأدبية، وخلق جمعيات خيرية، والدعوة إلى العمل والأخوة والتعاون...وعلى العموم فإن أهداف النادي نشر التعليم والمساعدة على تحرير الجماهير الجزائرية والتوفيق بين المجموعتين الفرنسية والجزائرية[50]، ومما يذكره أبو القاسم سعد الله بتشجيع الفرنسيين لمثل هذه النوادي والجمعيات: «السلطات الفرنسية وافقت على تأسيس الجمعيات التعليمية والاجتماعية ، الجمعية الرشيدية والجمعية التوفيقية، وقد رأسها في الظاهر بعض الجزائريين المتجنسين بالجنسية الفرنسية والمتخرجين من المدارس الفرنسية أمثال، د بلقاسم بن التهامي، محمد صوالح، و الدكتور، الطيب مرسلي، ومحتار الحاج سعيد، والشريف بن حبيلس، فظهور الجمعيات إذن كان في أوساط المثقفين بالفرنسية المعروفين بالاندماجيين»[51].

4-تأسيس فِدِرَالية مُنْتخِبي عَمالة قسنطينة:

يذكر محفوظ قداش أن هذه الفدرالية تأسست بقسنطينة في موفى عشرينيات القرن الماضي، على يد مجموعة من الشخصيات، والتي كان رأسها محمد الشريف سيسبان[52]، وباتت تُعرف بمكتب اتحادية المنتخبين المسلمين لقسنطينة:[53] على غير المكاتب التي تأسست في بعض المدن لهذا الغرض، كوهران، الجزائر، وتلمسان، ولقد جاء تشكيل هذه الفدرالية على النحو التالي: الرئيس: محمد الشريف سيسبان، نواب الرئيس: دحال محمد، بن يعقوب، بن خلاف حسان، عمران بشير، أمين: بن حبيلس شريف، أمين مساعد: ابن باديس مولود، مساعدون: ابن باديس محمد مصطفى، قلي أحمد، عابد علي، علاوة السعيد: ومن بين المطالب التي تقدمت بها للسلطات الفرنسية: تمثيل النخب في البرلمان، إلغاء الوضع في الإقامة الخاصة، تخفيف نظام الغابات وإلغاء المسؤولية الجماعية، المساواة في مدة الخدمة العسكرية[54]، وعلى الرغم من مطالبها فإن هذه الفدرالية لاقت ضغوطات كبيرة من طرف الفرنسيين، والمُثقفين المُفرنسين، استقال بموجبها محمد الشريف سيسبان من الفدرالية في 22 ماي 1932 ليتم استخلافه بمحمد الصالح بن جلول وفريقه[55].

5-تأسيس رابطة أحباب فرنسا في الجزائر 1937.

على الرغم من النشاطات التي قام بها بن حبيلس لصالح الدفاع عن المسلمين الجزائريين أو الأهالي كما يحلو له تسميتهم، وعلى الرغم من التراجع الذي سجله موقف فرحات عباس من الأفكار المتطرفة التي كان يدعوا إليها، وعلى الرغم من انتماء بن حبيلس لجماعة عباس، فإننا وقفنا لبن حبيلس على نشاط يكاد يكون مُناقض تماما لما كان يقوم به، ويكمن هذا النشاط في تأسيس هذه الرابطة، أو ما يسمى بجمعية أحباب فرنسا خلال شهر ديسمبر 1937، وهي تضم مجموعة من الشخصيات: الشيخ بن قانة، الباش آغا سماتي، الباش آغا الهاشمي، القاضيين بن ساسي وشريف بن حبيلس، وكل القادة الأهالي أعوان الإدارة الفرنسية[56]. وعليه فهل بن حبيلس كان يريد أن تكون له يد هنا بالجزائر وقدم هناك بفرنسا؟.

***تَغيُّر فِكر بَن حْبيلس مِن التَّطرُّف إلَى الاعْتِدال:**

لو لم يقوم بن حبيلس بتأسيس رابطة أحباب فرنسا سنة 1937 لقلنا عنه: إن بداية تغير فكره من التطرف إلى الاعتدال تعود إلى مطلع ثلاثينيات القرن الماضي، لكن تأسيس هذه الرابطة حال دون الجزم في هذه المسألة، مما يوحي لنا بالتذبذب الحاصل في فكر بن حبيلس وبالصراع الفكري الذي كان يعيشه مع ذاته، ومن ملامح هذا التغيير: بخصوص تغيير فكره نحو الاعتدال يطالعنا عبد الكريم بوالصفصاف بمقال لبن حبيلس يبين فيه موقفه من الاستعمار الفرنسي، وهذا ما نستشفه من خلال العناصر التالية:

1-الإشادة بالإمام عبد الحميد بن باديس ودوره الإصلاحي:

يطالعنا عبد الكريم بوالصفصاف في مقال لبن حبيلس اطلع عليه في جريدة "لو رابيل le rappel" بمناسبة التجمع الذي تم بين المرابطين وأتباعهم وبين السلطات المدنية والعسكرية الفرنسية في الجامع الكبير بالعاصمة يوم 31 ماي 1941 من أجل الدعاء بالنصر للفرنسيين ضد أعدائهم (الألمان) في أوربا))[57]. مقالا تحت عنوان: اكتراث المعسكر الآخر، هاجم فيه المرابطين.

ومما جاء فيه: «إن الجزائر قد بلغت في الانحطاط درجة لم يسبق لها مثيل في الميدان الفكري والثقافي ووصل بها الحال إلى الركود التام أو الموت الحتمي، فالتعليم العالي الذي كان متركزا في الزوايا لم يتغير منذ قرن من الزمن، وجهل اللغة العربية قد نمت جذوره خاصة في الأرياف لم يسبق للوطن الجزائري أن غاص في ظلام الجهل مثلما وصل إليه في

العهد الأخير، حين أصبح المسلم في هذا القطر يرفع يديه متضرعا إلى الله بالنصر لأولئك الذين انتهكوا مقدسات الإسلام وحطموا الرموز الوطنية ليقيموا مكانها كنائسهم وتماثيلهم»[58].

وفي خضم هذا المقال يكون قد أشار إلى فلسفة الشيخ عبد الحميد بن باديس، في تحرير الشعوب من الاستغلال الأجنبي: «كان لأبن باديس فكرة صحيحة، وهي أن الحكم النهائي لأي شعب لا يمكن أن يكون إلا من شعب متنور، وبرنامج العمل في التجديد فقد وضعه ابن باديس في بداية الحركة، ونقطته الرئيسية هي التعليم».

ومما ثنى به بن حبيلس على ابن باديس : «ومنذ أن وضع ابن باديس برنامج التجديد أخذ يهاجم جميع المعتقدات الملفقة والقوة الرجعية في البلاد بلا هوادة، ويهاجم بكل شجاعة جميع الأحكام المسبقة على مستوى الآراء التي هي العدو الأساسي للشعب: الذي يحب الشيخ محبة جنونية، لأنه كان متأكدا أن هذا الأخير محل ثقة، وقد رحل في أحرج الظروف ووطنه في حاجة ماسة إليه، وخصومه يعلمون مدى خسارة العالم الإسلامي ...إن ذكرى وفاة ابن باديس هي أعز الذكريات لدى المجتمع الجزائري، لأنها ذكرى رجل شريف ومواطن صالح»[59].

2-المشاركة في صياغة ملحق مذكرة أحباب البيان 1943:

من بين التطور الذي عرفته الحركة الوطنية الجزائرية خلال الحرب العالمية الثانية ظهور أحباب البيان التي ساهم فرحات عباس وأنصاره في صياغته، بيان ثبت لنا من خلال هذا المقال تذييله بملحق وصفي عرف بملحق مذكرة أحباب البيان، التي شارك في صياغتها كل من السادة: فرحات عباس وبن جلول وبن خلة والدكتور تامزالي وسايح عبد القادر وزروق محي الدين، وإذا كان بن حبيلس المحسوب على فرحات عباس لم يساهم في حدود علمنا في صياغة البيان، فلقد ساهم في صياغة ملحق مذكرة أحباب البيان، الصادر في 26 ماي 1943، حيث وقفنا على وجود شريف بن حبيلس ممثلا عن منطقة ذراع الميزان ضمن قائمة 21 عضو التي أمضت على هذا الملحق[60].

3-**المشاركة في انتخابات المجلس التأسيسي والمجلس الوطني الجزائري**: يتجلى موقف بن حبيلس أو بالأحرى مشاركته في الانتخابات التي حاولت الحركة الوطنية (حركة الانتصار، الاتحاد الديمقراطي، الجزب الشيوعي...) المشاركة فيها سنة 1946 في ما يلي:

أ-انتخابات المجلس التأسيسي[61]:

يذكر محفوظ قداش في معرض حديثه عن التسميات الجديدة التي دخلت بها الحركة الوطنية معركة الانتخابات، فمصالي الحاج الذي غير حزب الشعب إلى حركة الأنصار للحريات الديمقراطية، وفرحات عباس الذي غير أحباب البيان إلى الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، ورغم ذلك حاولت الإدارة الاستعمارية منع مرشحي الحزبين من دخول معترك الانتخابات تحت حجج واهية، فاعترضت على بعض القوائم، في كل من سطيف قسنطينة، وحاولت استقطاب بعض الشخصيات الأخرى لصالحها، فأقنعت علي بن شريف بالتقدم، والقاضي شريف بن حبيلس بتقديم نفسه،[62]. مما يفيد بموقع بن حبيلس المترنح بين هذين التيارين، والمستقطب من طرف الإدارة الفرنسية.

ب-المجلس الوطني الجزائري:

يذكر محفوظ قداش في معرض حديثه عن هذا المجلس أن "جاك شوفالييه" اقترح خلال خطابه الموجه لأعضاء المجلس في فيفري 1951 بضرورة تأسيس الإتحاد الفرانكو-إسلامي حقيقي، بعيدا عن النزعتين المتطرفتين: الاستعمار، والانفصال، كما أدان في خطابه تجربة المجلس الجزائري في هيئته الأولى، الذي برزت فيه حسب رأيه النَّمطية بواسطة نزعة تحكمية ساذجة، وفي الهيئة الثانية بواسطة إمعة عمياء، ولقد كان استنتاجه واضحا يواصل قداش: إننا نقدر، في اختيارنا لرجالات السياسة، بانه من الأضمن اجتذاب أشباه متمردين على اجتذاب خدام"، لقد كان، "شوفالي: يبحث عن قوة ثالثة، ولقد رد بن حبيلس على الأسئلة المطروحة من "شوفالي" لكن أولئك الذين كانوا أهلية للحديث باسم الحركة الوطنية، -وحتى العناصر المعتدلة من الإتحاد الديمقراطي لبيان الجزائر-فقد التزموا الصمت[63].

وفي معرض تعليقه عن موقف بن حبيلس: لقد قبل بن حبيلس الحوار لكنه أراد سبر خزانه المتواضع في التعبير بلغة ليست لغته قبل ان يترجم مشاعره بالملموس لأنه كما يقول: j'entends aussi ne pas aller en prison لا أنوي الذهاب إلى السجن[64].

4-موقفه من الثورة التحريرية 1954-1959:

من غير المُستبعد أن يكون موقف فرحات عباس من الثورة الجزائرية، التي وصف انطلاقتها بأنها الفوضى، اليأس، قد أثر في بن حبيلس الذي لم يكن له بُدا آخر سوى مجاراة موقف عباس، انطلاقا من الموقع السياسي الذي بات يشغله في مجلس

الشيوخ الفرنسي، لكن مع مرور الوقت تكون قد تغيرت نظرة بن حبيلس من الثورة بالتحاق فرحات عباس بها، ويكون قد تعزز موقفه أيضا في مجلس الشيوخ بعد انتخاب فرحات عباس رئيسا للحكومة المؤقتة الجزائرية.

-الوظائف التي شغلها:

لم يتوان بن حبيلس منذ تخرجه في الالتحاق بالوظيف لدى الفرنسيين، ومن بين المناصب والمهام التي شغلها في مسار حياته[65]:

1. القضاء.
2. موثق بمنطقة ذراع الميزان بتيزي وزو.
3. رئيس ودادية القضاة.
4. عضو جمعية الحبوس والبقاع المقدسة.
5. عضو مجلس إدارة النادي الفرانكو-إسلامي بالجزائر.
6. عضو في مجلس الشيوخ الفرنسي في الفترة من 1951-1958.
7. تولى مسؤوليات في المجالس البلدية والعمالية.

-مؤلفاته:[66] ساهم بن حبيلس في تأليف مجموعة معتبرة من الكتب، ذات الأغراض المتعددة، كتب قد يمكن عرضها في ما يلي:

L'Algérie Française vue par un indigène 1914-1

la protection des mineurs indigènes en Algérie 1924-2

la suppression des pouvoirs juridictionnelles du cadi 1924-3

Bilan Cent ans en France 1940-4

débats parlementaire 1954-5-interventions

وبناء على هذه المؤلفات وفي معرض بحثنا عن هذه الشخصية وجدنا أن شريف بن حبيلس يحتل مكانة معتبرة ضمن الروائيين الجزائريين، وهذا ما وقفنا عليه من خلال قيام مؤسسة الحي الثقافي كتارا القطرية[67]، بتخصيص جائزة كتارا للرواية العربية katara Prize for Arabic Novel لشريف بن حبيلس، باعتباره أحد الروائيين الجزائريين، وهي عبارة عن جائزة سنوية أطلقتها المؤسسة العامة للحي الثقافي-كتارا في بداية العام 2014، وتقوم المؤسسة بإدارتها وتوفير الدعم والمساندة والإشراف عليها بصورة كاملة من

خلال لجنة لإدارة الجائزة تم تعيينها لهذا الغرض. ومن بين الروائيين الجزائريين الذين ضمتهم قائمة كتارا: عز الدين ميهوبي، زهور ونيسي، محمد ديب، أمين الزاوي...الخ.

وفاته:

على الرغم من عملية البحث التي استغرقت منا وقتا طويلا في البحث عن هذه الشخصية، فإننا لم نظفر بما فيه الكفاية على معطيات تاريخية كافية حول النهاية المأساوية لشريف بن حبيلس، حيث راح ضحية لعملية اغتيال مُدبّرة، عملية تباينت الروايات التاريخية حولها، فهناك من يرى أن بن حبيلس أغتيل من طرف جهة التحرير بسبب تأييده فكرة القوة الثالثة التي طرحها الجنرال "دوغول"، بينما يرى البعض الآخر أن الفرنسيين هم من قاموا باغتياله بسبب الاتصالات التي كان يجريها مع فرحات عباس بعد التحاقه بالثورة، حيث بات يُشكل خطرا على الفرنسيين، وعلى الجزائريين المنتخبين ، وعلى رأس هؤلاء بن حبيلس الذي كان عضوا في مجلس الشيوخ الفرنسي، ومن بين هذه الروايات:

1-رواية محمد حربي:

بعدما يتطرق إلى تعريف القوة الثالثة التي هي عبارة عن وسيط بين جهة التحرير الوطني والاستعماريين، وموقف فرحات عباس المؤيد لها، الذي ذهب حتى إلى محاولة جعلها موردا سياسيا داخل جهة التحرير الوطني، يذكر بشأن اغتيال بن حبيلس: «وشجع سرا -أي فرحات عباس- مع أحمد فرانسيس، وبدون علم الحكومة المؤقتة ودون حساب الأخطار، السيناتور الشريف بن حبيلس على قيادتها، ولما علمت بالاتصالات بين هؤلاء الرجال الثلاثة، أمرت هيئة الحكم الثلاثية، فيدرالية فرنسا، باغتيال بن حبيلس، الذي قتل في أوت 1959 في فيشي»[68].

2-رواية رابح بلعيد[69]:

جاء في مقاله الموسوم بفرحات عباس "حصان طروادة" الثورة الجزائرية، ما يلي: إن الشريف بن حبيلس كان على علم تام بسياسة الجنرال "دوغول" المتمثلة في البحث عن القوة الثالثة للقضاء على الثورة، ومما يستشهد به بلعيد حول بن حبيلس ما ذكره Edward Roermond: إن بن حبيلس كان على ثقة جديدة (كذا) بما يسمى سياسة القوة الثالثة لدرجة اقتناعه بأن في وسعها أن تؤدي إلى جذب قسم كبير من قادة جهة التحرير الوطني إلى سياسة ديغول"، ثُم سرعان ما يُعيب بلعيد على "ادوار رويرمون" بالقول: لو

تحرى الدقة أن يكتشف أن فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة هو الذي شجع الشريف بن حبيلس على القيام بذلك الدور السياسي الخطير؟. ثم يواصل القول مُستشهدا بشهادة محمد حربي السابقة الذكر، غير أنه يذكر أن إصدار الأمر لفدرالية جهة التحرير لفرنسا بمهمة التصفية الجسدية لبن حبيلس كان من طرف الثلاثي الحاكم: (بوصوف، بن طوبال، كريم بلقاسم)، وليس من طرف محمد حربي كما جاء في روايته السابقة الذكر.

لم يكتف بلعيد بهذا الطرح، بل ذهب في روايته إلى إقحام أحمد فرانسيس في هذه القضية، والأمين دباغين الذي كان على علم بما يقوم به عباس وفرانسيس، لكنه لم يستطيع أن يحرك ساكنا، معنى ذلك أن بن حبيلس حسب رابح بلعيد تم توريطه في هذه الأزمة وبدلا من معاقبة المدبرين تم معاقبة المنفذين طالما أن الأمر والنهي بيد هؤلاء المسؤولين، ويذكر بشأن فرحات عباس: «بينما يعتبر معظم الجزائريين الدور الشنيع الذي قام به فرحات عباس في محاولته لمساعدة ديغول تحقيق غايته الكبرى بمثابة خيانة عظمة فإن فرحات عباس يعتقد من جهته أنه لم يرتكب أي خطأ باعتناقه فكرة " القوة الثالثة" بل يعتقد فوق ذلك إن ما قام به رفقة أحمد فرنسيس هو من صلب الوطنية !!»[70].

3-رواية أحمد مريوش:

يرى أن شريف بن حبيلس "أغتيل في مدنية فيشي الفرنسية في نهاية الخمسينات من طرف رجال جهة التحرير الوطني[71]، ولقد استمد روايته من عمار نارون في مؤلفه باللغة الفرنسية الموسوم بـ"Histoire Parallelle la France en Algérie 1830-1962" وهو المؤلف الذي سعينا للحصول عليه، لكن لم يحالفنا الحظ في ذلك، وما يقال عن رواية مريوش أنه اكتفى بنقلها لنا دون أن يقدم لنا أي تعليق على حادثة الإغتيال.

4-ويكيبيديا الموسوعة الحرة الالكترونية:

تذكر بأن بن حبيلس: أغتيل في أوت 1959 بفرنسا، أياما بعد لقائه فرحات عباس في سويسرا، حيث أتهمت فرنسا بتصفيته، في حين اتهمت فرنسا جهة التحرير باغتياله، لأنه يمثل الخط المعتدل الرافض للعنف الداعي للحوار في الجزائر[72]، لكنها تعود من جديد للتشكيك في من كان وراء عملية الاغتيال: هل فرنسا أم جهة التحرير؟.

من خلال هذه الروايات يمكن القول: إن شريف بن حبيلس راح ضحية المغالطات والحسابات السياسية الضيقة، كيف لا وهو الذي اجتمع بفرحات عباس لمناقشة فكرة القوة الثالثة التي عرضها عليه الجنرال "ديغول"، رغم موقع فرحات عباس السياسي في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وعليه فهل فرحات عباس لم يعلم باغتيال بن حبيلس؟، وإذا كان محمد حربي هو من أصدر الأوامر باغتيال بن حبيلس فلماذا استثنى منها كل من أحمد فرانسيس وفرحات عباس؟، هذا الأخير الذي اجتمع ببن حبيلس في سويسرا، هل خوفا على تأثير بن حبيلس على فرحات عباس؟ وهل بن حبيلس يستطيع وحده تمثيل القوة الثالثة؟. وهل تنحية أو بالأحرى عزل فرحات عباس من على رأس الحكومة المؤقتة فيما بعد وتعيين بن يوسف بن خدة على رأسها له علاقة بهذا الموضوع؟. يبدو أن اغتيال بن حبيلس في نظرنا ما هو إلا حلقة من حلقات عملية الاغتيالات التي استهدفت كثير من رموز الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، بداية بالمفتي كحول ونهاية بالعقيد محمد شعباني، حيث كلما عالجنا مثل هذه القضايا إلا ونجد اختلافا كبيرا بين الباحثين والمؤرخين، نظرا لقلة المعطيات التاريخية ولحساسية الموقف، وبهذه الطريقة والآلية لن نستطيع أن نكتب تاريخا صحيحا للأجيال القادمة، بل سنزيد الهوة اتساعا بين تاريخنا الوطني وذاكرة شعبنا.

الخاتمة: مما سبق ذكره وبناء على ما توفر لدينا من معطيات تاريخية حول شخصية شريف بن حبيلس، يمكننا الوقوف على جملة من الاستنتاجات الأولية، التي قد تفيد القارئ والمتتبع لهذا المقال، وتفتح له مجالا للبحث بعمق حول شخصية شريف بن حبيلس، استنتاجات يمكن عرضها في ما يلي:

يمكن تصنيف كتاب بن حبيلس الجزائر الفرنسية من وجهة نظر أحد الأهالي، كما تذكر كريمة بن حسين نقلا عن آجرون: «إنه عبارة عن مرافعة رزينة ولكنها عاطفية موجهة نحو الفرنسيين في صالح أولئك الذين جاءوا بحماس لأخذ مكانة لهم ضمن العائلة الفرنسية مبتعدين بذلك إلى الأبد عن مجتمعهم الأصلي، وهو بمثابت (كذا) الاعتراف بالجميل لأهلي تربى على مقاعد المدرسة الفرنسية ويحب بعمق الاسم الجميل لفرنسا»[73].

-على الرغم من موقع فرنسا في فكر بن حبيلس، ونظرته الاستعلائية على الجزائريين، إلا أن كتابه تضمن في عدة مواضع الدفاع عن الأهالي والتشهير بالممارسات الاستعمارية الجائرة في حقهم، وهذا باعتراف "أولفييه لوكور، غرانميزون"، الذي يحاول أن ينصف بن حبيلس[74]، ورغم تجنّسه لم يتخل عن أحواله الشخصية ولا عن الجزائر كأرض وشعب، بل ضل يؤمن بها، من مستواه الفكري الذي يرى أنه لا يمكن النهوض بالمجتمع الجزائري إلا من خلال التصور النخبوي الذي يدافع عنه، وهذا ما أكده لنا شارل روبير آجرون[75]، من خلال اطلاعه على كتاب بن حبيلس، الذي كان يرى أن الجزائريين إذا رفضوا التطور ستلتهمهم المنافسة الاقتصادية، وأن التقدم لا يحصل إلا بواسطة اكتساب المعارف الفرنسية واستعمال التقنيات الأوربية، وهذا كله من أجل إيقاظ مواطنيهم، أو بالأحرى الأهالي الجزائريين، ومقارنة بموقف فرحات عباس وآرائه التي عبّر عنها بعد بن حبيلس بحوالي 20 سنة، فإننا قد لا نعذر فرحات عباس عن مواقفه المتأخرة في حين قد نستطيع عذر بن حبيلس عن موقفه المُبكّر من الاستعمار الفرنسي في سنة 1914، إذا عدنا لدراسة السياق التاريخي للأحداث، ففرحات عباس كان حظه من الظروف أحسن وأفضل من وضع بن حبيلس.

التأكيد على دور شريف بن حبيلس في الحركة الوطنية الجزائرية من منظور الجماعة التي كان ينتمي إليها، ففي حالة ما إذا عدنا لقراءة السياق التاريخي الذي ظهرت فيه هذه المواقف، لقلنا: إن هذا آخر ما يمكن أن يستطيع أن يقدم عليه شاب في مثل

بن حبيلس، تجاه القضية الجزائرية، على أن لا يُفهم ضمنيا دفاعنا عن بن حبيلس، لأننا لا نستطيع الحكم على الماضي من منظور الحاضر.

لا يزال فكر بن حبيلس يحتاج إلى المزيد من البحث المضني للوقوف على مختلف النشاطات والأدوار التي قام بها خلال مسار حياته، خاصة فيما تعلق بمرافعاته في المجلس التشريعي وفي مجلس الشيوخ الفرنسي في الفترة الممتدة من 1951-1959، وهي فترة كافية لنقف من خلالها على فكر بن حبيلس بشكل دقيق وسليم، ناهيك عن بقية مؤلفاته غير المترجمة التي تعكس من دون شك مستواه الفكري، الذي لا يمكن تجاهله وإقصاؤه.

-التأكيد على التغيير الحاصل في فكر بن حبيلس من التطرف إلى الاعتدال، تغير كانت وراءه مجموعة من العوامل، من أهمها: 1-اقتناعه بعدم جدوى الطروحات والأفكار التي كانت تنادي به جماعة النخبة الفرانكفونية، إن لم نقل وقوفه واطلاعه على درجة اليأس والفشل الذي كانت تعاني منه، خصوصا في ثلاثينيات القرن 20، في الوقت الذي برز فيه التيار الإصلاحي والتيار الاستقلالي بشكل كبير.2-تطرف فرحات عباس وسرعة تراجعه واعتداله عن التطرف الذي طبع شخصيته في مطلع ثلاثينيات القرن الماضي، خاصة في كون فرحات عباس كان محسوبا على جماعة بن حبيلس، وعليه فمن غير المستبعد أن يكون تراجع بن حبيلس نتيجة تأثره بفرحات عباس، بعد اللقاء الذي تم بين هذا الأخير وبين الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقر جريدة البصائر، ومن دلائل التعاون بين بين حبيلس وفرحات عباس بيان 1943، ومشاركته في الانتخابات باسم حزب فرحات عباس بعد سنة 1945.

-نُسجل حلقة مفقودة في البحث عن شخصية بن حبيلس ومعظم نشاطاته في الفترة التي قضاها في مجلس الشيوخ الفرنسي، من سنة 1951-1959، ونظرا لالتزامنا بالحيز الورقي لهذا المقال حسب شروط النشر، فإننا سنخصص له دراسة أخرى في غير هذا الموضع، نكمل من خلالها هذا الجزء.

-التأكيد على استغلال شريف بن حبيلس من طرف فرحات عباس الذي كان يؤمن بحل القضية الجزائرية حلا سياسيا، في إطار القوة الثالثة التي دعا إليها الجنرال "دوغول"، وعليه فمن غير المستبعد أن يكون بن حبيلس قد أخبر الحكومة الفرنسية أو بالأحرى سياسيها بالمهمة التي سيقوم بها جراء التقائه بفرحات عباس في سويسرا على

الرغم من تأكيد البعض بان هذا اللقاء كان سريا، وعليه فمسألة تصفيته من طرف الفرنسيين تبدو مُستبعدة عكس ما ورد في ويكيبيديا الموسوعة الحرة السالفة الذكر.

-إن التجاذب الحاصل بين الباحثين حول أسباب اغتيال بن حبيلس والمبررات التي تقف وراءه، لا تزال هشة وسطحية، فهل لكون بن حبيلس التقى بفرحات عباس حول آليات تطبيق القوة الثالثة في الجزائر؟ فعملية البحث عن مخرج للثورة الجزائرية أو بالأحرى الاتصال مع العدو الفرنسي حسب بوعلام بن حمودة تعود إلى ما قبل هذا التاريخ بكثير، والاتصالات السرية بين الطرف الفرنسي والجزائري كانت سارية المفعول قبل مفاوضات ايفيان، حيث تعود الاتصالات غير الرسمية إلى شهر جويلية 1956 في جزيرة بريوني بيوغسلافيا وروما، وهي الاتصالات التي شارك فيها " Pierre Commin" الأمين العام المساعد للحزب الاشتراكي " SFIO" وأحمد فرانسيس ومحمد يزيد[76]، وعليه فاغتيال بن حبيلس تقف وراءه مبررات أخرى، قد يكشف لنا التاريخ عن خباياها في المستقبل.

-رغم الأدوار التي قام بها والمناصب التي شغلها في الإدارة الاستعمارية من منظوره الأهلي النخبوي، فإن هذا لم يمنعه من التأليف والكتابة بعيدا عن السياسة وتجاذباتها، وعليه فالعودة إلى مؤلفات بن حبيلس وإعادة النظر فيها ستعطي لنا صورة حقيقة للحكم على بن حبيلس، السياسي، الروائي، الكاتب، القاضي، السيناتور، كما أن الإطلاع على موقع بن حبيلس في فكر الطرف الآخر -فرنسا- سيفيد كثيرا في هذه المسألة.

الهوامش

[1]-يعرف شريف بن حبيلس النخبة (l'Elite) بقوله: "إنهم ذلك الشباب الناشئ في الجامعات الفرنسية والذين استطاعوا-بفضل عملهم-أن يرتفعوا فوق العامة، ويتموقعوا في الجزائر الحاملين للحضارة عن جدارة"، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، ص93. 167. بينما يعرفها الأستاذ عبد القادر حلوش في كتابه سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، بقوله: "هم من تعلموا في المدارس الفرنسية وتأثروا بالثقافة الأوربية وانبهروا بمظاهرها وتقاليدها واقتنعوا بعظمة فرنسا وقوتها واعتبارها صاحبة الحق الشرعي في الجزائر...وبذلك أصبح المفرنسون هم المدافعون عن فرنسا في الجزائر والمتحمسين الأوائل لفكرة الإدماج مع دعاته الأصليين من الجمهوريين، كما ارتموا في أحضان الحضارة الفرنسية وأنكروا أو تجاهلوا حضارتهم العربية الإسلامية بمطالبتهم بالتجنس بالجنسية الفرنسية حتى يصبحوا في مصاف الفرنسيين الأوربيين أنفسهم من حيث وضعهم الاجتماعي والسياسي". ط.1، شركة دار الأمة، الجزائر، 1999. ص251

[2] فريد حاجي: السّياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937، المنطلق-السيرورة-المآل، دار الخلدونية، 1434هـ/2013م، ص. 412.

[3] خالد، بوهند: النخب الجزائرية دراسة تاريخية واجتماعية 1892-1942، دار القدس العربي، الجزائر، 2015، ص192.

[4] عباس، محمد الصغير: فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية 1927-1963، أطروحة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية 1427-1428هـ/ 2006-2007م، ص45. يراجع أيضا: أحمد مريوش، ص124.

[5] عثمان، سعدي: الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص، 588.

[6] نفسه، ص599.

[7] عباس، محمد الصغير، المرجع السابق، ص45.

[8] أحمد، مريوش: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج1، كنوز الحكمة، الجزائر، 2013، ص124.

[9] https://ar.wikipedia.org/wiki/**الشريف_بن_حبيليس** *أطلعنا عليه في تاريخ2017/02/10 في الساعة 21.30 مساء*

[10] خالد، بوهند: المرجع السابق، ص186.

[11]

[12] أحمد/ مريوش: المرجع السابق، ص124.

[13] https://books.google.com/books/ *أطلعنا عليه في تاريخ2017/03/20 في الساعة 14.00 زوالا*

[14] عبد الله حمادي، فيصل الأحمر، وسيلة بوسيس

[15] شريف، بن حبيلس: الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، ط.1، ترجمة عبد الله حمادي، فيصل الأحمر، وسيلة بوسيس، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2009، ص19.

[16] نفسه، ص. 22.

[17] أحمد، الخطيب: حزب الشعب الجزائري، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص31، ص47.

[18] أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائية، ج2، 1900-1930، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص-ص204-205.

[19] من بين هذه المقاومات والثورات: ومن بين هذه الثّورات: ثورة محمد الشريف بوبغلة، ولالة فاطمة نسومر 1854-1857، ثورة محمد بوخنتاش بالحضنة1861، ثورة الزغاية في الشرق الجزائري 1864,ثورة أولاد سيدي الشيخ في الجنوب الغربي الجزائري1864-1881، ثورة الشّيخ المقراني والحداد 1871، ثورة الشيخ بوعمامة 1881-1904، ثورة عين التركي 1901، ثورة عين بسام 1906، ثورة بني شقران بمعسكر 1914، ثورة الأوراس1916...الخ.

[20] شريف، بن حبيلس: المصدر السابق، ص19.

[21] نفسه، ص-ص. 25-26.

[22] نفسه، ص26.

[23] نفسه، ص-ص26-27.

[24] -عبد الرحمان ابن محمد، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج، 4،ط، 7، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1994، ص، 298.

[25] شريف، بن حبيلس: المصدر السابق، ص28.

[26] نفسه، ص-ص28-29.

[27] بول، أودال: صورة الجزائر أرضا وشعبا لدرى رحالة فرنسي 1899 (من الجزائر إلى بوسعادة عبر برج بوعريريج والمسيلة)، ترجمة عمر بن قينة، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2010، ص21.

[28] نفسه، ص25.

[29] شريف، بن حبيلس: المصدر السابق، ص31.

[30] نفسه، ص37.

[31] نفسه، ص75.

[32] حمدان بن عثمان، خوجة: المرآة، ط2، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص6.

[33] عبد القادر، حلوش: ص. 48.

[34] غي بريفيليي: النخبة الجزائرية الفرانكوفونية 1880-1962، ترجمة م، حاج مسعود، أ، أكلي، ع، بلعربي، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007 , ص-ص 388-389.

[35] عبد القادر، حلوش: المرجع السابق، ص. 48.

[36] نفسه، ص. 49

[37] له عدة مؤلفات منها:

-Portrait du colonisé, précédé du portrait du colonisateur.

-la poésie algérienne de 1830 à nos jours, sous la direction d'Albert Memmi.

-Anthologie des écrivains maghrébins d'expression française.

[38] غي بريفيي، ص395.

[39] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 3، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص. 245.

[40] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ح. 7، ص. 93.

[41] نفسه، ص. 209.

[42] احميده، عميراوي: الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1930، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص-ص79-80.

[43] معزة، عز الدين: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985، أطروحة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، نوقشت في 16 فيفري 2005، تحت إشراف بوالصفصاف عبد الكريم ص9.

[44] نفسه، ص78.

[45] نفسه، ص78.

[46] نفسه، ص80.

[47] خميلي، العكروت: جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين (الجزائريين) 1909-1956، أطروحة ماجيستر، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، السنة الجامعية 2008-2009، ص128.

[48] بوعلام، بن حمودة: الثورة الجزائرية ثورة أول نوفمبر 1954، معالمها الأساسية، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص92.

[49] أحمد، مريوش: المرجع السابق، ص120.

[50] أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص145.

[51] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، المرجع السابق، ص. 314.

[52] ينحدر من قبائل الشمال القسنطيني، درس بثانوية قسنطينة، تخرج من جامعة الجزائر بشهادة الكفاءة المهنية لتعليم اللغة العربية، يراجع: يحي بوعزيز: الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية، ص68، ص69، ص95. Mahfoud KADDACHE: histoire du nationalisme Algérien 1919-1951, tom 2, P758, P760.

[53] محفوظ، قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، ج1، ترجمة محمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص329.

[54] نفسه، ص350.

[55] معزة، عز الدين: المرجع السابق، ص55.

[56] محفوظ، قداش: المصدر السابق، ج1، ص789.

[57] بو الصفصاف، عبد الكريم: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1401هـ، ص195.

[58] نفسه، ص-ص194-195.

[59] نفسه، ص-ص307-308.

[60] وهم على النحو التالي: سايح عبد القادر من أورليوفيل، رئيس فرع المفاوضات المالية، وعباسة من مستغانم، والدكتور تامزالي من الجزائر العاصمة رئيس فرع القبائل، وفرحات عباس من سطيف وباشطارزي من أوبليل والدكتور بن جلول من قسنطينة وبن حبيلس من ذراع الميزان وبن تونس من عين بسام وشنتوف من معسكر وفوضيل من الجزائر العاصمة وغرسي من دوبيري وغوارب من عين البيضاء وخيار من تيزي وزو ولخضاري من قالمة وأورابح من واد آميزور وطالب عبد السلام من تلمسان وتامزالي علاوة من بجاية وتامزالي خليل من بجاية. يراجع كل من: محفوظ، قداش: المصدر السابق، ج2، ص-ص915-916. يحي، بوعزيز: الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه 1912-1948، ص86. ص95.

[61] نفسه، ج2، ص1014.

[62] Mahfoud KADDACHE: histoire du nationalisme Algérien 1919-1951, tom 2, SNED. Alger, 1980, P758.

[63] محفوظ قداش: المصدر السابق، ج2، ص1169.

[64] نفسه، ص1192.

[65] حاجي، فريد: المرجع السابق، ص412. كما يمكن مراجعة المصدر التالي بخصوص هذه النقطة: Pervillé Guy: les étudiants Algériens de l'université Française (1880-1962).

[66] *https://ar.wikipedia.org/wiki/**الشريف_بن**_حبيليس* /أطلعنا عليه في تاريخ 2017/03/23 الساعة 07.55 دقيقة مساء

[67] مؤسسة الحي الثقافي كتارا القطرية، من بين أهدافها الحفاظ على التراث الثقافي والهوية، وتسعى في الوقت ذاته لاستثارة الوعي بالثقافات الأخرى واحترامها، إيمانا منها بأن التنوع الثقافي إثراء للإنسانية جمعاء. يراجع الموقع الالكتروني التالي: www.kataranovels.com/novelist، *أطلعنا عليه في تاريخ19/03/ 2017 في الساعة 8.00 صباحا*

[68] محمد، حربي: حياة تحد وصمود مذكرات سياسية 1945-1962، ترجمة عبد العزيز بوباكير، علي قسايسية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص280.

[69] *www.algeriachannel.net* أطلعنا عليه في تاريخ 2017/03/20 في الساعة 11 صباحا

[70] Ibid. (Même site).

[71] أحمد/ مريوش: المرجع السابق، ص124.

[72] https://ar.wikipedia.org/wiki/أطلعنا عليه في تاريخ2017/03/12 في الساعة 11 صباحا، الشريف_بن_حبيليس أطلعنا

[73] كريمة، بن حسين: المتجنسون، مواقفهم، أفكارهم وطموحاتهم، مجلة العلوم الإنسانية، ع30، ديسمبر 2008، المجلد الأول، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،ص136.

[74] أولفييه لوكور، غرانميزون: في نظام الأهالي، ترجمة العربي بوينون، ط1، منشورات السائحي، الجزائر، 2011، ص117.

[75] شارل روبير، أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج2، ترجمة حاج مسعود، ع. بلعربي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص-ص915-916.

[76] بوعلام، بن حمودة: المصدر السابق، ص551.